خطبة بعنوان: سلعة الله

يوم الجمعة: ٢٢/٠٥/١٤٤١هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيأيها المسلمون ... عرفنا الله تعالى بجنته، وأعلمنا بما أعده في دار كرامته؛ ترغيبًا للمؤمنين، وتحفيزًا للصالحين، ودفعًا للعابدين. إنها الجنة دار خلد وبقاء، لا دار بؤس وشقاء، إنها نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مُطَرِد، وفاكهة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحُلَلٌ كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا*إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[الواقعة:٢٥-٢٦].﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ* بِأَكْوَابٍ وَ أَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ* لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ *وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ* وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ *جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الواقعة:١٧-٢٤] تبدأ حكاية المؤمنين مع الجنة عندما تستقبلهم ملائكة الرحمة، وتقول لهم﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر:٧٣] طابت أقوالكم، وطابت أعمالكم، وطابت قلوبكم فادخلوها خالدين. تستقبلهم الملائكة وتقول لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤]بما صبرتم على أوامر الله فامتثلتموها. بما صبرتم على نواهي الله فاجتنبتموها. بما صبرتم على أقدار الله المؤلمة فاحتسبتموها. يُساقون إلى الجنة ووجوههم نور ويعلوهم النور. إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة.

أيها المسلمون ... روى أحمد في المسند أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا:" يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ "قال:((لبنة ذهب، ولبنة فضة وملاطُها المسكُ-يعني الطين الذي بين اللبنتين- ، وحصباؤُها الياقوتُ واللُّؤلؤُ ، وتُرابها الزَّعفرانُ مَن يدخلَها فينعَمُ فلا يبأسُ ، ويحيى فلا يموتُ ، لا تبلَى ثيابُهُ ، ولا يفنى شَبابُهُ)) .

أيها المسلمون ... هل تعرفون أدنى أهل الجنة منزلة؟ روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: ((سأل موسى ربه فقال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يؤتى به رجل بعدما يدخل أهل الجنةِ الجنةَ فيقال له: ادخل. فيقول: أي رب وكيف أدخل وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقول الرب الكريم له: هل ترضى أن يكون لك مُلك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي . فيقول الرب الكريم: ولك مثله ومثله ومثله فيقول العبد في الخامسة رضيت ربي فيقول الرب الكريم: ولك عشرة أمثاله، وما تشتهي نفسك وما تلذ عينك. فيقول موسى عليه السلام: يا رب وما أعلاهم منزلة؟ فيقول الرب جل جلاله:أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي فلم تسمع أذن، ولم ترَ عين، ولم يخطرعلى قلب بشر)).

ينادي منادٍ في أهل الجنة: يا أهل الجنة إن لك أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا.

يناديهم الرب جل جلاله فيقول: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وكيف لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟ فيقول الرب الكريم: أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: أي رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا.

ينادي الله تعالى أهل الجنة فيقول: هل أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، وتنجينا من النار، وتدخلنا الجنة؟ فيكشف الرب الحجاب سبحانه فيرون وجه ربهم فما أعطي أهل الجنة أحب من النظر إلى وجه ربهم.

يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح بين الجنة والنار فيقال لأهل الجنة: هل تعرفونه؟ فيقولون: هذا الموت، فيذبح بين الجنة والنار، وينادى في أهل الجنة: خلود فلا موت فيزدادون فرحًا إلى فرحهم.

أيها المسلمون... هذه الجنة وبعض ما جاء في صفتها لكنها فوق الخيال كما جاء في الحديث: ((أعددت لعبادي الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرعلى قلب بشر))، وإذا آمن العبد بالجنة، وتعلق بها فإن هذا يدفعه لطاعة ربه، والاجتهاد فيها، والثبات عليها وإذا آمن العبد بالجنة، وتعلق بها هانت عليه المصائب، وسلاه ذلك عند النوائب، وعلم أن الله عز وجل يعوض المؤمنين، ويخلف على الصالحين بما أعده لهم في دار كرامته، وبما زين به جنته.

أيها المسلمون... إنها الجنة إنها سلعة الله، وسلعة الله غالية فمن أراد الجنة فعليه أن يعمل لها، ويجتهد في المصابرة إليها، وليعلم أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وجنة الدنيا هي الإيمان والعمل الصالح.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.